

أنا وأنت على الطريق

العنف العائلي

في أحد الرسوم الكاريكاتورية ، وتحت عنوان **العنف العائلي**، رسم الفنان الكاريكاتوري محمد الريس على صفحته المعتادة صورة مضحكة ومبكية في آن واحد. رسم صورة لزوج وهو يحاول خنق زوجته والزوجة مصابة بالرعب وهي تستغيث، بينما الولد يقف بعيدا يراقب وهو يضحك ويبدأ بالعد واحد اثنان ثلاثة لكي يقوم والده بتأدية مهمته. وكأنها مباراة يراقبها أو تمثيلية يقدمانها على المسرح.

وعلى الرغم من أنها صورة كاريكاتورية يا سيدتي، لكنها تحمل الكثير من المعاني الحقيقية، وتظهر معاناة المرأة العربية من العنف والقسوة في البيت العائلي.

ولقد ذكرني هذا الرسم الكاريكاتوري عن العنف العائلي بفيلم حضرته على الشاشة الصغيرة ، أثار بالحق مشاعري وقلقي على المرأة في عالمنا العربي.

فلقد نقل لنا الفيلم صورة واقعية عن حالة العديد من الأزواج في البيت الزوجي، وعن كيفية النظر إلى المرأة الزوجة. إذ بعد أن قضى زوجان فترة زواج دامت ثمانية عشر عاما انتهى بهما الأمر إلى الطلاق. وعلى الرغم من أن الزوجين كانا متقفين ومتعلمين ويعمل كل منهما في مركز مرموق ومحترم، هي في حقل الطب وهو في حقل المصارف والبنوك، إلا أن علاقتهما في البيت لم تكن علاقة أناس متقفين ومتعلمين. إذ كانا في كل وقت يختلفان فيه بالرأي ، يبدأان بالتشاجر والصياح. ويقوم الزوج وبقسوة بضرب زوجته لإسكاتهما. وهذه القسوة وهذا العنف خلقا عندها شيئا من المرارة في داخلها.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تعرف الزوج بصديقة له كانت تعمل معه في البنك. ووقع في حبها وأراد الزواج منها. ولما علمت الزوجة بذلك حاولت الدفاع عن نفسها بثتى الوسائل وحاولت إبقاء الشقة التي كانا يعيشان فيها معا . خاصة أنها اكتشفت أنها حامل بطفل من زوجها الذي ينوي طلاقها. ولكونها حامل منحها القانون حق السكنى في البيت الزوجي . وبعدها قام الزوج بالزواج من المرأة الأخرى ، وأتى بها إلى البيت. وهنا بدأت المشاكل من جديد. إذ لم ترغب الزوجة الأولى أن تعيش الزوجة الثانية أي ضررتها في نفس البيت، الذي بنته وأسسته هي وزوجها السابق، وراحتا تتشاجران وتتقاتلان. وصار العيش لا يطاق .

وفور تعرض الزوجة الأولى للإجهاض وإسقاط الطفل ، استطاع الزوج أن يتخلص من زوجته الأولى المطلقة وأن يطردها من الشقة. إذ لم يعد هناك ما يجبره على الاهتمام بها.

ولما فاتحها زوج أختها عن مستقبلها وكيف ستدبر أمورها، سألتها: ماذا استفدت من الزوج المثقف والمتعلم ذاك؟ لقد رفضك وطردك من بيتك الزوجي الذي اشتركتما في تأسيسه . وها أنتِ قد خرجت منه من دون أن تحصلي على مليم واحد. وعليه عرض عليها أن تتزوج من أحد الرجال الأغنياء جدا الذي ما فتئ يلاحقها من مكان إلى آخر، على الرغم من أنه أمي ، لا يفقه القراءة ولا الكتابة. ونصحها بقوله: المال في هذه الأيام هو كل شيء. ولما اعترضت على ذلك قال لها : ستعيشين معه مرتاحة حتى ولو كان جاهلا. عندها، وما كان أصعبه من قرار اتخذته، وهو أن تتزوج برجل كبير مسن، يملك المال لكي تتخلص من خسارتها لبيتها الزوجي وزوجها. وهنا احتقرت نفسها لأنها شعرت بأنها كمن يبيع نفسه من أجل مأوى.

نعم يا سيدتي، فلقد صغرت هذه الزوجة في عيني نفسها. لأن الظروف أجبرتها على الزواج من رجل مسن جاهل لا يفقه شيئا ، لكنه ثري ولديه من المال ما يؤمن لها سكنا مريحا. هي التي كرهت هذا الرجل مسبقا، وأطلقت عليه ألقابا كثيرة، وجدت نفسها تقترن به لأنها خسرت كل شيء. وعلى أثر هذا القرار الذي اتخذته شعرت وكأنها باعت نفسها وجسدها وثقافتها وذكاءها وإبداعها وعلمها ومهنتها. هذا كان نتيجة للعنف الزوجي الذي تعرضت له أثناء زواجها.

ترى إلى أين يقود العنف والقسوة في الزواج؟ أليس إلى الانهيار؟ لأنه لا يؤثر فقط على الزواج بشكل عام بل على الأولاد الذين ينشأون في هذا البيت المنقسم والمهدد. أليس كذلك؟

ترى أين نحن يا سيدي الرجل ويا سيدتي المرأة من تطبيق كلمة الله المقدسة في حياتنا الزوجية؟ لأن الله تعالى الذي خلق الرجل وصنع المرأة قد منحنا دليلا نسير عليه في حياتنا الزوجية معا حتى يستمر الزواج ويبقى. فهل قرأت الكتاب المقدس يا سيدتي؟ وأنت يا سيدي؟ الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الموحى بها إلى رجاله الأتقياء . فهلا اضطلعتما عليه؟

يعلمنا الكتاب المقدس عن الزواج منذ البداية ويقول لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويصير الاثنان جسدا واحدا. : وما جمعه الله لا يفرقه إنسان.

هذه هي المعادلة التي لا تنطبق على أية قوانين حسابية. فمن المعروف أن واحد زائد واحد يساوي اثنين. أما هنا فواحد زائد واحد يساوي واحد. أي عندما يتحد الرجل والمرأة في الزواج المقدس يكونان كائنا واحدا جديدا متحدا ومنسجما. وعندما يصبح

الاثنان واحداً، يهتم كل منهما في كيف يحافظ على هذا الكائن الجديد. أليس كذلك؟ وليس العكس. فهل يعقل أن يقوم أحد الأطراف بتحطيم الطرف الآخر وبالقسوة عليه؟ ماذا تكون النتيجة سوى الخراب والدمار والانهيار لهذا الكائن الواحد الجديد؟

لقد أوصى الله عن طريق الانجيل المقدس الرجال وقال لهم: **كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كالموارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكي لا تعاق صلواتكم.**

إن الرجل الذي يُكرم زوجته كإناء أضعف لأنها محدودة القوة الجسدية، يجب أن يحميها لا أن يضربها ويقسو عليها. يجب أن يعينها ويحترمها ويبقى معها. وإن لم يعامل الزوج زوجته برفقة تصبح صلواته غير مسموعة ومن دون فعالية. لأن العلاقة الحية مع الله الخالق تعتمد على العلاقات السليمة مع الآخرين، وقبل كل شيء الزوجة التي هي الشريك والحبيب والصديق والشخص الأقرب من أي شخص آخر. أليس كذلك؟

لا يقول الوحي المقدس بأن المرأة الأضعف بمعنى أنها أدنى من الرجل. كلا أبداً. بل لأنها محدودة القوة الجسدية. فعندما يستغل الزوج ضعفها من هذه الناحية ويقوم بكيل الصفعات لها والإهانات والضربات ويعاملها بالعنف والقسوة، فإنه يهدم حياته الزوجية.

تري، هل فكرت صديقي الرجل بأنك ستعطي حساباً على ما تفعل في يوم الدين؟ ولابد أنك ستدفع الثمن غالباً ما لم تنتب الآن وتعد إلى رشدك وتصلي وتطلب من الله الغفران على طريقة معاملتك القاسية والفظنة لزوجتك. فهل تفعل؟
